

439006 - إشكال حول قصة جلوس النبي صلى الله عليه وسلم بين فاطمة وعلي في فراش نومهما!

السؤال

اعتذر مقدما عن سؤالي، والذي قد يوحى بقله أدب مع النبي صلى الله عليه وسلم، ولكني والله أشهد بأنه خير البشر، وأحسنهم خلقا، ولكن الموضوع يقتحم عقلي حتى أرهقني، فأرجو أن تفيدوني، فقد أشكل علي فهم جزء حديث، وأرجو أن تشرحوه لي، كنت اقرأ في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم فوقفت عند حديث علي رضي الله عنه: " أن فاطمة عليها السلام شكت ما تلقى في يدها من الرحي، فأنت النبي صلى الله عليه وسلم تسأله خادماً، فلم تجده، فذكرت ذلك لعائشة، فلما جاء أخبرته، قال: فجاؤنا، وقد أخذنا مضاجعنا، فذهبت أقوم، فقال: (مكانك)، فجلس بيننا حتى وجدت برد قدميه على صدري، فقال: (ألا أدلكم على ما هو خير لكم من خادم؟ إذا أويتما إلى فراشكما أو أخذتما مضاجعكما فكبرا أربعاً وثلاثين، وسبحا ثلاثاً وثلاثين، واحمداً ثلاثاً وثلاثين فهذا خير لكم من خادم). سؤالني هو: كيف جلس النبي بين علي وفاطمة حتى وجدت برد قدميه على صدرها؟ والله إني خجل من سؤالي، ولكنني أريد أن أتخلص من الوسواس، والفكرة لا تنفك من رأسي، وأحاول تشتيتها لكن تعود إلي.

الإجابة المفصلة

الحمد لله.

روى البخاري (3705)، ومسلم (2727) عن ابن أبي ليلى، قال: حَدَّثَنَا عَلِيُّ: " أَنَّ فَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَامُ، شَكَتْ مَا تَلَقَى مِنْ أَثَرِ الرَّحَا، فَأَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَبِيًّا، فَاَنْطَلَقَتْ فَلَمْ تَجِدْهُ، فَوَجَدَتْ عَائِشَةَ فَأَخْبَرَتْهَا، فَلَمَّا جَاءَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخْبَرَتْهُ عَائِشَةُ بِمَجِيءِ فَاطِمَةَ، فَجَاءَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْنَا وَقَدْ أَخَذْنَا مَضَاجِعَنَا، فَذَهَبْتُ لِأَقُومَ، فَقَالَ: (عَلَى مَكَانِكُمْ).

فَقَعَدَ بَيْنَنَا حَتَّى وَجَدْتُ بُرْدَ قَدَمَيْهِ عَلَى صَدْرِي، وَقَالَ:

(أَلَا أُعَلِّمُكُمْ خَيْرًا مِمَّا سَأَلْتُمَانِي، إِذَا أَخَذْتُمَا مَضَاجِعِكُمَا تُكْبِرَا أَرْبَعًا وَثَلَاثِينَ، وَتُسَبِّحَا ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَتَحْمَدَا ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمَا مِنْ خَادِمٍ).

هذا الحديث يثبت جواز أن يجلس الرجل في فراش ابنته بينها وبين زوجها بعد الاستئذان.

قال ابن هبيرة رحمه الله تعالى:

" في هذا الحديث من الفقه جواز الجلوس بين الابنة وزوجها، وفيه إسقاط لغيره الجاهلين من مثل هذا " انتهى من "الإفصاح

عن معاني الصحاح" (1/255).

لكن بشرط أن لا يرى عورتها ولا يلمسها.

فقد نهى الشرع عن النظر إلى عوارت الناس أو لمسها.

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (لَا يَنْظُرُ الرَّجُلُ إِلَى عَوْرَةِ الرَّجُلِ، وَلَا الْمَرْأَةُ إِلَى عَوْرَةِ الْمَرْأَةِ، وَلَا يُفْضِي الرَّجُلُ إِلَى الرَّجُلِ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ، وَلَا تُفْضِي الْمَرْأَةُ إِلَى الْمَرْأَةِ فِي الثَّوْبِ الْوَاحِدِ) رواه مسلم (338).

قال النووي رحمه الله تعالى:

" تحريم نظر الرجل إلى عورة الرجل، والمرأة إلى عورة المرأة، وهذا لاخلاف فيه، وكذلك نظر الرجل إلى عورة المرأة، والمرأة إلى عورة الرجل حرام بالإجماع.

ونبه صلى الله عليه وسلم بنظر الرجل إلى عورة الرجل على نظره إلى عورة المرأة وذلك بالتحريم أولى، وهذا التحريم في حق غير الأزواج ...

وأما قوله صلى الله عليه وسلم : (ولا يفضي الرجل إلى الرجل في ثوب واحد وكذلك في المرأة مع المرأة) ؛ فهو نهى تحريم إذا لم يكن بينهما حائل، وفيه دليل على تحريم لمس عورة غيره بأي موضع من بدنه كان، وهذا متفق عليه، وهذا مما تعم به البلوى ويتساهل فيه كثير من الناس " انتهى من "شرح صحيح مسلم" (4 / 30 - 31).

وحديث جلوس النبي صلى الله عليه وسلم لم يرد فيه أنه رأى عورة أحدهما، أو لمسها.

قال ابن رسلان رحمه الله تعالى:

" (فَجَاءَ فَقَعَدَ بَيْنَنَا) ومد رجليه؛ فوصلت قدماه إلى صدرها مع حائل (حَتَّى وَجَدْتُ بُرْدَ قَدَمَيْهِ عَلَى صَدْرِي) وقعود النبي صلى الله عليه وسلم بين ابنته وعلي دليل على جواز مثل ذلك، وأنه لا يعاب على من فعله إذا لم يؤد ذلك إلى الاطلاع على عورة أو شيء ممنوع منه شرعاً " انتهى من "شرح سنن أبي داود" (19 / 281).

وعبارة: (حَتَّى وَجَدْتُ بُرْدَ قَدَمَيْهِ عَلَى صَدْرِي).

الضمير في (وَجَدْتُ) عائد إلى المتكلم وهو علي رضي الله عنه، فالصدر هنا هو صدر علي رضي الله عنه، وليس صدر فاطمة رضي الله عنها، وصدر الرجل ليس بعورة.

وبعد؛ فليس في الحديث إشكال يستدعي السؤال أصلا، فضلا عن أن يلح عليك السؤال، فضلا عن أن يرهق عقلك!!

والحقيقة: أن جواب هذا السؤال، أو حتى الإشكال، ليس هو الذي يريحك من هذا الإرهاق؛ بل الذي يريحك هو "ألا تستجيب" لهذه الوسواس، وأن تتلهى عنها بالكلية، وإذا بلغت بك الوسواس مبلغ "المرض" فينبغي أن تتعالج نفسياً عند طبيب مختص، ثقة، فهذا هو أصل المشكلة؛ وإلا، فمجرد الجواب هنا، سوف يتبعه تساؤل جديد، وإشكال مختلف، وإرهاق، ربما أشد عبثاً على أعصاب.

وانظر للفائدة: جواب السؤال رقم: (411605).

والله أعلم.